ميزانية رجل الفيل

كتبها محمد خليل الكسيح

حصلت خلال حياتي العملية على العديد من الألقاب مثل الخبير النووي وأينشتاين عصره والرجل المشع واللواء الذري وصاحب ذلك بطبيعة الحال الكثير من الشهادات العلمية بدأتها مع تخرجي من كلية الفنية العسكرية والدراسات الهندسية حول المفاعلات النووية ولقب الدكتور حسن

العـــالم النـــووي ويبـــدو أن الأمـــر تحـــول عنـــدي إلى هوس وهواية بهذا التخصص أزداد مع زواجي من أستاذة الفيزياء النووية بكلية العلوم دكتـورة فـايزة وكـان الأمـر ممتعا فخلال فترة الخطوبـة كـــــان الحـــــديث العلمي المسيطر بـدلا من الحـديث عن الأثاث والشبكة وخلافـه ولكنه كان زواج سـعيد بكـل المقاييس ومـع انجـاب ثلاث فتيات التحقن جميعـا بكليـة العلـوم في أقسـام مختلفـة

تحــول المــنزل إلى جامعــة علمية بكل المقــاييس ولكن اللقب الأهم كـــان الرجـــل الصادق وأحببت ذلـك اللقب أكثر من أي شئ آخر ولكنـه كلفــني الكثـير خلال حيـاتي المهنيــة ورغم كــل العطــاء العلمي والمهـــــني حـــــتى قــاربت ال55 من العمــر إلا أنــني كنت دائمــا بعيــدا عن الأضـــواء والمناصـــب رغم الحاجة المستمرة لي كخبير عسـكري ونـووي لـذا ورغم كــل شــئ كنت على اتصــال

دائم بــــالكثير من رجــــال السلطة وبخاصة المخابرات فيما يتعلق بكل ما يمكن أن يكــون لــه علاقــة بــالأمور الذريــة وكــان لقب الرجــل الصادق رأس مــالي الوحيــد ولكن في ذلك اليــوم وبينمــا كنت في شــــقتي بشــــارع الأنصار بالــدقي أتــابع اخبــار الحــرب في أوكرانيــا والــتي كنت أعرفهــا حــق المعرفــة وكيــــف لا وهي صــــاحبة مقاعل تشــرنوبيل والكارثــة الــتي حــدثت في 26 أبريــل

1986 ميلادي بـــالقرب من بلـــدة يريبيـــات أو مدينـــة الاشـباح كمـا يسـمونها الان فـؤجئت بـرقم غـريب على الموبايل الخـاص بي والـذي لايعرفـه الا القليـل وجـاءني صــــوت صــــارم يخــــبرني بالاســـتعداد لزيـــارة هامـــة للسـيد الطمـاوي حيث أنهم بانتظــاري أســفل العمــارة التي أسكن بهـا، لم أكن في حاجــة لفهم خطــورة الأمــر وأنــني على وشــك مقابلــة مســــئول أمــــني هــــام

والطماوي رجل الـرعب في المخابرات وأسـميه العميـل رقم صـــفر ولكن الطريقـــة كـانت الأغـرب هـذه المـرة فلم أعتــاد على اصـــطحابي بســــــيارة خاصـــــــة وزادت اندهاشــي عنــدما صــحبوني لعمـارة متمـيزة على النيـل بـالقرب من نـادي التجـديف لنادي جامعة القاهرة وهناك وفي الــدور الثــالث والــذي امتلا بـــالحراس المتمـــيزين بـــدنيا وزيـــا وتســـليحا دخلت منفـــردا إلى غرفـــة واســـعة

اكتشفت أنها تطل على النيل وهناك ظهر مضيفي الطماوي أو العميل رقم صفر كما نسميه نسبة إلى قصص الشياطين ال13 للكاتب محمود سالم والتي كانت مشهورة أيام طفولتي ولكني هذه المرة وجها لوجه مع العميل رقم صفر شخصيا وضحك الرجل عندما أخبرته بذلك وكان حديثه وديا للغاية حتى تخيلت أن الأمر مجرد دعوة لتناول الشاي والحلوي على

النيل ولكني مع ذلك لم أمد يـدي لأي شـئ موجـود على الطاولـــة الممتلئـــة بـــأنواع غريبـة وممـيزة من الحلـوى والشـــرب وتوقـــف فجـــأة وسألني

- دكتـور حسـن تعـرف أيـه عن رجل الفيل؟
- كتلـــة كبـــيرة من مـــادة الكوريـــوم بحجم مـــترين ووزن 100 طن أســــفل مفاعـل تشـرنوبيل رقم4 وتحديدا الغرفة 217

- في ممـــر توزيـــع البخـــار أســفل المفاعــل.. عظيم أنت مذاكر كويس.. مجرد النظـــر إلى رجـــل الفيـــل يقتلك ومع اشعاع بقوة 8 ألاف رونتجن الله يرحمنـا جميعا
- الحمد لله أنها ليست هنـــا كما أن روسيا بنت فوقهـا التـــــــــــــــــابوت (sarcophagus)
- ماذا لـو أخبرتـك أنهـا هنـا في مصر ويمكن أن تصل إلى مياة النيل

- هـذا معنـاه ببسـاطة أنـه يجب أن نترك مصر لمدة 100 الــف ســنة حــتى ينتهى الأشـــعاع القاتـــل المنبعث منها
- هـــل تعـــرف كيـــف تم اكتشافها
- مـــدير المشـــروع ارتـــور كورناييف خلال زيارة عام 1996وقـــام بتصـــويرها ولكن نقلهـــا مســـتحيل.. هنــاك حــرب أولا وحــتى بـــدون حـــرب فـــالأمر مستحيل

- التقـــارير والصـــور الـــتي ستشـــاهدها الان ســـرية نقلتهـــا لنـــا المخـــابرات الروسية

بـدأ في عـرض صـور على شاشة تلفزنوية مع الشرح وكـانت لروبوتـات تتحـرك في منطقـــــة المفاعـــــل وأحـدها كـان معـدا بشـكل وكأنه يحمـل بندقيـة أو مـا شابه وهنا سألني من جديد

- اتعرف لماذا هذا الروبوت معد ببندقية

- رجل الفيل كتلة صلبة تكتل من الوقود النووي والزجاج والخرسانة طبقات من ثاني أكسيد السيلكون مع اليورانيوم والتيتانيوم والزركونيوم والمغنيسيوم والجرافيت مغطاة بطبقة تشبه لحاء الاشجار والزجاج بسبب حبوب بلورية من الزركون ومع صلابتها الشديدة يمكن تحطيمها بطلقة من بندقية

- بالضـبط كلامـك مطـابق للخبير الروسي أعتقـد أن مهمـة الروبوتـات جمـع عينـات من رجـل الفيـل وهـذا مـا تأكـده الصـور ولكن إلى أين ذهبت العينات ومن يمكنه نقلها
- إسرائيل.. هل هناك اجابة أخرى؟
- طالما أن الـروس قـاموا بالتصـوير واخبارنـا فـأن الحكومة الأوكرانية لها يـد في الأمـر وعلاقتهم مـع إسرائيل معروفة

لم يكمل حديثه وظل يتـابع الأجهـزة الـتي امتلات بهـا الغرفـــــــة فضـــــــلا عن الشاشـــــــات ولابــــــات الكمـــبيوتر ثم مـــد يـــده بقطعة معدنية لي وسألني

- هـــل تعـــرف دايـــرون باروت؟
- طبعا خبـير قنابـل مشـعة ولكن تم القبض عليــــــه 2004
- قبضــــنا على شــــخص بالمطار له علاقة به وكان معه تلك القطعة

- أنها خليط من الرصاص والجرافيت من المواد الأساسية في المفاعلات
- وما الهدف من قطعة صغيرة كهذة
- بتجميع اعداد منها يمكن صنع حاوية
- حاوية لنقل رجل الفيل
- هذا صعب ولكن ممكن لو توفرت الامكانية المناسبة

من جديد توقف عن الحديث وأخذ يتابع الشاشات من حوله ثم

يتطلع للنيل ثم دق جرس بصـــوت عـــالي أشـــبه بالانذار وتطلع إلى إحــدي الشاشـــات والتـــف لي وقال

- لقـد وجـدوا قطـع أخـرى في فيلا بالمنصـــــورية.. يجب أن تـــــذهب الان للفحص وتعــود لي.. نحن في طـــــــؤاري لحين اكتشاف كل شئ

نهضـــت وأديت تلقائيـــا التحيـة العسـكرية ولكـني طلبت أن يصـــــحبني

المقدم وليد المساعد لي ورحب الرجــل وأخــبرني بأنـــه ســـيلحق بي على المنصورية.
في فيلا المنصــورية كــان رجــال القــوات الخاصــة الملثمين بأسلحتهم مـع 5 جثث المفــــترض أنهـــــا لارهــابيين كــانوا بــالفيلا والعديــــد من القطـــــع المعدنيــــة المشــــابهة للقطعــة الــتي أراهــا لي الطماوي ولكن كان هناك الكثــير من التســاؤلات،

قمت بفحص القطـــــــع وأيضــا الجثث الخمســة وتـأملت الوجــوه وحضــر مســاعدي وليــد بــأجهزة متنوعة بعضها للتصوير أو لكشف الاشعاع فتجــولت معـــه في الفيلا ولكن لم نصــل لشــئ ولأول مــرة تحدث وليد وسألني

- أستاذي ماذا يحدث؟
- مصــيبة ولكن لا أدرى مــا نوعهــا بالضــبط، بـــدأت بخمس جثث أرجــــــو ألا يزيد العدد

من جديد عدت إلى الطماوي على كورنيش النيل ولكنهم لم يسمحوا بدخول وليد والذي ظل ينتظر بالخارج وأعتذر لي الطماوي عن ذلك لأسباب أمنية ولكنه أخبرني أن هناك تطور جديد حدث ويبدو أننا تأخرنا كثيرا في ملاحقة المشكلة ثم عرض لي رسالة نصية كانت عبارة عن تهديد بوضع رجل الفيل في مياة النيل ولتأكيد التهديد فقد تم

اطلاقها على قرية صــغيرة بصحراء سـيناء ومـا هي الا دقـائق حـتى كنت اسـتقل طـائرة هليكوبـتر مـع وليـد وفريـــق بحـــثي مخصـــص لكشــف الاشــعاع النــووي وكنت على ابـــواب رؤيـــة مأســـاة حقيقيـــة فالقريـــة كـــانت مليئـــة بـــالجثث من البشـــــــر والحيوانـــــــات وأصـدرت أجهـزة الأشـعاع رنينها المزعج مؤكـدة على وجود اشـعاع بقـوة 1000 رومنتجن او يزيـــــد ورغم

ارتداء الـزي الـواقي إلا أن أعضاء الفريـق أكـدوا على أهميـــة الرحيـــل الفـــوري وكنت وقتهـــا إلى جـــوار طفلة صغيرة أتامل وجهها، كان الأمر أشـبه بـالجلوس داخل مقبرة جماعية قريـة كاملة بكـل من فيهـا حـتى الطيـور والـدواب والكلاب والقطـط وبعض الأطفـال كـــان يلعبـــون بالشـــارع وارتصــــت جثثهم بجــــوار بعض ولم أقــــــوى على الكلام لفـــترة من الـــوقت

ولكن بمجرد العودة طلبت
من وليد الرحيل وعدت أنـا
من جديـــد إلى الطمـــاوي
والذي كان متأثرا بالحـادث
ومئـــــات الجثث خاصـــــة
الأطفال والذين ماتوا فقط
لاثبـات مصـداقية التهديـد
ولكنـه كـان يحمـل أخبـار
جديدة عن وصول طائرات
بدون طيار وأجهزة لكشف
الاشـــعاع من الجـــو وقـــد
بـــــدأت عمليـــــات البحث
بالفعل، كنت اتـابع بـدوري
الشاشـــات ولكن بنظـــرة

غاضبة حتى رن جـرس من جديـــــد وآخـــــر ثم رفـــع الطماوي الموبايل الخــاص به وابتسم وهو يقول

- تمام سيادتك الحمد لله... الخطر زال

ولأول مــرة ضــحك وهــو يخبرني بأنــه تم اكتشــاف وكــر الارهــابيين من خلال اشــعاع رجــل الفيــل وتم نســف المكــان بالكامــل ولحسن الحظ في منطقة صــحراوية ســيتم عمــل كــردون حولهــا لضــمان

السـلامة ولكن عنـدما سألته عن ضرورة ذهـابي لفحص المكـان أخـبرني بـأن هنـاك فريـق بحـثي مخصـص لـذلك والخـبراء الروس في الطريق الان. كنت أعتقد أنـني سـارحل ولكن الطمـاوي طلب حضـور الطعـام وكلفـني بعمل تقريـر عن الحـادث والأجهـزة والاسـتعدادت المطلوبـة لمثـل هـذه الأخطار والتكلفة الماديـة مهما كانت كبيرة واكد لي

على أهمية وضع ميزانية كافية ومناسبة مهما بلغت فالخطر كان عظيم ولو تمكن الارهاب من الوصول برجل الفيل لمياة النيل لكانت الكارثة.

لم أتناول معه الطعام لرغبتي في الأكل مع زوجتي والبنات وأخبرته أن التقرير سيكون جاهز بكل التفاصيل خلال ثلاثة أيام وسأحضره بنفسي إلى مقره الأسطوري

على النيل وبالفعــل كتبت التقريـــــر ولم أجـــرى أي مكالمــة ســوى مــع وليــد لأتاكد من مهمة كلفته بها ورد بجملة واحدة

- زي مـــــا قلت ســـــيادتك مفيش حاجة
- طب تعـــالي في حاجــــة عـــايزة منـــك وبـــالمرة نتغذي مع بعض..

كنت أعـــد الشـــاي وأنـــا أنظر الى البراد الذي بــدأ في الغليان نظرة غاضــبة ولاحظت زوجــتي حــالتي

فاستفســـرت في قلـــق فأشــرت إلى الــبراد وأنــا أخبرها بأن هذا مــا حــدث في تشربونيل بــراد بيغلي كـــان يجب أن يغلى على مهـــل حـــتى لايفـــور نعم سنخســـر بعض الـــوقت ولكن مـــع الأمـــان ولكن الغليان كان سريع فحدث الفوران واتسخ البوتاجــاز ولكن في حالة تشربونيل لم يكن بوتاجاز بــل دولــة كاملة وربما العالم كله لو ساءت الأمور أكثر.

لم ترد على شرحي لحادث المفاعل من خلال براد الشاي ولكنها كانت قلقة على لقائي بالطماوي فأخبرتها بأنه سيكون الأخير فلا حاجة لي بعد كتابة التقرير وتقديم شرح كافي للحادث والأجهزة المطلوبة والميزانية المطلوبة لتفادي خطر نووي جديد مثل رجل الفيل.

لقـائي مـع الطمـاوي كـان مميزا هذه المرة فقد كنت أحمــل أوراقي في حقيبــة دبلوماســـــــية ورحب بي الجميع دون إجراءات أمنية ولحظات وكنت أجلس من جديـد مـع الطمـاوي على ضـــفاف النيـــل والمائـــدة الممتلئة بكل أنواع الطعام والشراب المميز والغـريب ولكني فأجاته بسؤال

- مـا السـبب لكـل ذلـك؟؟ فقط هذا التقرير؟
- لا أفهم.. ماذا تقصد؟

- لا يوجـد رجـل الفيـل ولا أيده.. كله كذب
- مـاذا تقـول دكتـور.. أنت عـالم.. الاشـعاع والجثث والصور..
- جثث المنصورية تعرضـت للتعـــذيب قبـــل قتلهـــا بالرصـاص وربمـا مـاتت قبلها وكيف يمكن لمعركة بالرشاشات أن تحدث مع 5 إرهـــــــابيين دون أن يتحطم شـــئ بـــالفيلا والأظـــــرف أن احـــــد الإرهابيين كان من تلاميـذ

زوجتي بكلية العلوم ومن المتفقـــــوقين أيضـــــا.. والأشـياء الـتي وجـدوها.. وجـــدوها دون أي تحطيم أو تفـتيش وكأنهـا كـانت موجـــودة على الســـفرة مثـــل هـــذه الســـــفرة الفاخرة

- عظيم.. تحليـــــل رائـــع والواحة بسيناء؟
- لم يموتوا من رجـل الفيـل أو اشعاع فاعراض الاشعاع الـــدوار والارهــاق ونزيــف خلال دقائق ويكون المـوت

خلال يومين وليس فوريـا.. أهـالي الواحــة مـات بغـاز ســام تم رشـــه عليهم من مســافة قريبــة.. أرســلت وليـــد للواحـــة في اليـــوم التالي لقياس الأشـعاع ولم يكن هناك شئ.. كمـا قلت لك الأمر يحتـاج 100 الـف سنة لزوال الاشـعاع وليس 24 ساعة

- جميل جـدا ولكن مـاذا عن التقريـــر وميزانيـــة الأمن على ضوء الأحداث الأخيرة

- التقرير مكتوب وبميزانية 6 أصفار هل هذا المطلوب من كل هذا؟؟
- بالضبط موضوع الارهاب أصبح ممل.. لكن خطر نووي وتهديد اشعاعي أقوي وميزانية أكبر
- صحيح.. هل هناك شئ مطلوب مني غير ذلك؟
- لا لقد أديت دورك بشكل جيد.. والتقرير ممتاز
- أنت لم تقرأ كل شئ هناك الكثير من التفاصيل.. الحقيبة ممتلئة

- لايهم.. أهم شئ الأصفار الستة
- صحيح.. أسمح لي بالانصراف وأجازة طويلة
- طبعا وفي أي مكان تريد مع الأسرة ومجانا طبعا وزيادة في الراتب ضرب 20 غير المكافات
- ممتاز.. وكل رجل فيل وأنت طيب

انصرفت في هدوء ولكن هذه المرة كنت مع سيارتي التويوتا وابتعدت مسافة قبل أن اسمع صوت انفجار

كبير دمر مقر الطماوي بالكامل حتى أني أحسست أن جثته تناثرت في النيل وتذكرت حواري مع مساعدي وليد قبل يوم عندما أخبرته بحقيقة ما حدث وتخطيطي لقتل الطماوي انتقاما لدماء الأبرياء التي سفكها فقط من أجل الميزانية وطلبت منه أن يعد لي حقيبة كمين مليئة بمتفجرات مناسبة وبالفعل تم كل شئ حسب المخطط ووجدت وليد

واقفا على ناصية الشارع بالقرب من الشيراتون وجلس بجواري في السيارة وسألني

- ماذا سيحدث بعد ذلك؟
- لا شئ أطمئن.. تقرير جديد بالميزانية بدل الذي أحترق منذ قليل.

وفي صباح اليوم التالي كنت في مبني المخابرات العامة أجلس مع أحد المسئولين والذي طلب حضوري إلى مكتبه على الفور وهناك سألني

- أنت قـــابلت الطمـــاوي أمبارح؟
- مش مهم الطمـــــاوي.. المهم تقرير الميزانية بعد الحــوادث اللى حصــلت.. تهديد نووي وقتل مسئول أمني رفيع المستوى نحن في حاجـــــة لميزانيـــــة مناسبة.. أنــا كتبت تقريــر بميزانية من 7 أصفار ولو تحب ممكن نخليهم 8 كما تعرف الجميع يعرفني بالرجــل الصــادق واللــواء الذري

- ســتكون العميــد الــذري قريبا
- شكرا لك
- هـــل ستحضـــر جنـــازة الطماوي.. أو اللى فضــل منه
- لا عندي ميعاد عائلي..
- أنـا كمـان كفايـة نقـرأ لـه الفاتحة
- كفاية جدا

وضحكنا وأنصرفت بعــد أن سـلمت لـه ميزانيـة رجـل الفيـــل كمـــا كتبت على غلاف التقرير

تمت